

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث

@ 167 @ من الكذب كما في الحديث : ((الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة)) وقال
لواصة : ((استفت قلبك)) وقد ترك النبي أمته على البيضاء ، ليلها كنهارها وهذا من
أدل الأشياء على ما قلنا . وإنما يؤتي الإنسان ويدخل الزيف عليه والباطل ، من نقص
متابعته للرسول ، بخلاف المؤمن المحسن ، المتبع له في أقواله وأفعاله ، فإن أقوال
الرسول عليها جلالة ، ولها ناموس . ولقد رأيت رجلا إذا سمع حديثا مرويا عن النبي وكان
ليس مما قاله يرده ويقول : ((هذا موضوع أو ضعيف أو غريب)) من غير أن يسمع في ذلك
بشيء ، فيكشف عنه ، فإذا هو كما قال ، وكان قل أن يخطيء في هذا الباب ، فإذا قيل له :
من أين لك هذا ؟ يقول : كلام الرسول عليه جلالة ، وفيه فحولة ليست لغيره من الناس ،
وكذلك كلام أصحابه . وكنت أكشف عما يقول فأجده غالبا كما قال . وكان من أتبع الناس
للسنة ، وأقلامهم للبدع والأهواء . وكذلك كان يقع هذا كثيرا ، فإن الدين هو فعل ما أمر
الله به ، وترك ما نهى عنه فمن تلبس في باطنه بالإخلاص والصدق ، وفي ظاهره بالشرع لانت له
الأشياء ، ووضحت على ما هي عليه ، عكس حال أهل الضلال والبدع ، الذين يتكلمون بالكذب
والتحريف ، فيدخلون في دين الله ما ليس منه . وانظر ألفاظ القرآن لما كانت محفوظة منقولة
بالتواتر ، لم يطمع مبطل ولا غيره في إبطال شيء منه ، ولا في زيادة شيء بخلاف الحديث ،
فإن المحرفين والوضاعين تصرفوا فيه بالزيادة والنقصان ، والكذب والوضع في متونه
وأسانيده ، ولكن أقام الله به من ينفي عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل
الجاهلين ، ويحميه من وضع الوضاعين ، فبينوا ما أدخل أهل الكذب والوضع فيه ، وأهل
التحريف في معانيه ، كمن صنف في الصحيح كالبخاري ، ومسلم ، وابن خزيمة ، وكذلك أهل
المساند : كمسند أحمد ونحوه ، وكمالك ، وعبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة
، وغيرهم من تكلم على الحديث . وكذلك الذين تكلموا على الرجال وأسانيدها :